مصطفى خضر

عرّافُ الرّيح

جسدي يهرُّ ، يلوبُ أدعيةً
باتتْ ، تغاوي سقطةَ الوسنِ ؛
عبّادُه الاشباحُ في دعةٍ
غابتْ ، تراود عـذْرةَ الزمنِ
اطفالُـه لغةٌ بلا شفةٍ :
طقسُ العراءِ هنا يضلّلُـني .

بدويَّتي ، إنجيلُـها حبَلٌ ،
أوراقُـه ، أوراقُـه سُفُني .
وتقولُ لي : في جبهتي سَفَرٌ ،
ملاّحُه الزنجيُّ يشتمُني .
وتقولُ : في كفّيَ كوًى ودمٌ ،
وتقولُ : حلَّ الجنُّ في بدني .
طفلٌ مسوحيُّ الرؤى ، شرساً
يأتي ، يسوطُ الغيبَ ، يصلبُني

(سيفي الملوّثُ ، هل قرأتِ له
كفّي ؟ فأمسِ وهبتُه وَثَني !)
جسدي يهرُّ . عباءتي نتفاً
خبّأتُها ، فعباءتي كفَني .
إن نجنِ من رحمٍ نباركها ،
نطفَ المصيرِ ، اجنّة الحَزَنِ —
لا كنتِ يا عصفورةً عبرتْ
ظنّي ، فريحُ البحر تحملُني .

انا والفراغُ توالدٌ دَبِقٌ
سفرُ التحوّل فيه ضيَّعني .
سحرُ الغبار هنا تحاورني
فوضاه ، أُخصِبُها وتُخصِبُني .
أأذوبُ في البحر الصبورِ غداً ؟
(البحرُ انثى !) البحرُ في وطني !

جبهتي غاضتْ ، تعاويذي دمٌ ،
وطقوسي نتّفتْ وجهي الطري ؛
لغةُ القنديل هل تُجدي إلهاً
عائداً من برزخ الرفض إلي ،
حلّ في ذاتي ، سقاني كأسَهُ ،
ورماني للفراغ الحجري ؟

لا تغبي ! قارىءُ الريح هوى ،
سِفرُه حرٌ قديمٌ وثني .
ورْقةُ الشكِّ هنا زوّرها

وطواها الانبعاثُ الأزلي .
وهنا يجري ابتهالي شفةً ،
بلسماً للجرحِ ، جرحي البربري .

لا تغيبي ! للتعرّي نكهةٌ
اتصبّاها بجوعي البدوي ،
جسدٌ يشتاق طعمَ السرّ في
الجسد الرمليّ ، يا جرحي الفتي .
نهرُ عريٍ ، غبطةٌ ، سحرٌ ، دمٌ ،
ودوارٌ ، واخضرارٌ أبدي :
(احترقْ رملاً وريحاً وهوىً ،
وليعمّدْكَ ابتهالي الغَجَري !)

لحظةً غابتْ . وعادتْ طفلةً :
(خصبةً كنتُ ؟ ربيعُ البحر فيّ ؟)
لحظةً غابتْ . وعادتْ طفلةً :
(لا تُرعِني ، ضمّني ، حنّ عليّ !)

سقطتْ مدينتُنا ، وطاف بها
صوتي ، يفجّرُ سرَّ حنجرتي ؛
فحضورُها عريٌ يؤرّقُني ،
فضّتُهُ اشرعةٌ بلا وطنٍ ؛
ودمي يسيلُ على مفازتها
حرّاً ، ويُخصبُ جوعُه شفتي .
وحضورُها رمحٌ يُناوئُني ،
رمحٌ يغالُ قصيدتي ، لغتي ،

فاليأسُ ، وجهُ البحرِ ، يشربُني .

عمر الخرافة في مدينتنا
رفضٌ ، ومركبُ غادةٍ غزلِ .
وترودُها بصّارة الملل .
ودمي ، الوليمةُ ، باتَ ينهرُني :
يا قارىءَ الريحِ الخصيبةِ لي !
الريحُ ، جلدُ الخلقِ ، مركبتي ؛
(بوّابةٌ سحريةٌ وُلدتْ)
أحييتُها ، أحييتُ مقبرتي
في طقسها ، من أوّل الزمنِ .

طفلةً عادتْ . يُناديها دمي
غامضاً جُنَّ ، فأغفتْ في ابتهالي
وخطتْ عبرَ سؤالي .
ساحلُ العريِ ، هنا ، شعري الظمي !
رثّ فيه العالمُ السفليّ ، يا ربَّ الغلالِ ،
يا مدادَ الرعبِ ، يا باباً الى السرّ المحالِ :
لمّني ، لمَّ مسافاتي حناناً .
طفلةً عادتْ . يُناديها دمي ،
ودمي جوعٌ اليها ، يلتقي ، عبرَ رحيلي ، عدمي .
أحرقتُ تاريخي المرَّ زماناً .
وخُطى الاطفالِ كانت في عشاياه جِنانا .
طفلةً عادتْ ، وغابتْ ؛
ليلوبَ الوحيُ صخّاباً :
« هنا بالأمس كانا ! »